نساء في القرآن

(١)

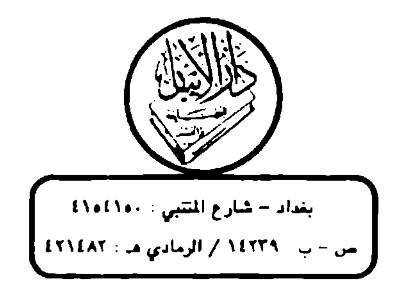
أم موسى عليها السلام

اعده وعلق عليه

حامد حسين الفلاحي

٩٢٠٫٧٢
ف ٨٢٣ الفلاحي ، حامد حسين
نساء في القرآن / حامد حسين
الفلاحي .- بغداد : دار الانبار ، ١٩٩٤
مج١ -جـ١-٦ (ص) ؛ ١٨سم
يتضمن مج١ في ٦ اجزاء ويتضمن جـ١ ام موسى: جـ٢ بلقيس ملكة سبأ :
جـ٣زينب بنت جحش .. الخ
١- النساء - تراجم ٢- زوجات النبي صلى الله عليه وسلم
أ- العنوان
م.و
١٤١ / ١٩٩٤
المكتبة الوطنية (الفهرسة اثناء النشر)

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٤١) لسنة ١٩٩٤



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(وأوحينا الى أمِّ موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليمِّ ولاتخافي ولاتحزني إنّا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين ●)[١].

لقد ولد موسى في ظل تلك الأوضاع القاسية، ولد والخطر محدق به، والموت يلتفّ عليه، والشفرة مشرعة على عنقه تهمّ أن تحزّ رأسه !

وهاهي ذي أمه حائره به، خائفة عليه، تخشى ان يصل نبؤه الى الجلادين، وترجف[٢] أن تتناول عنقه السكين، هاهي ذي بطفلها الصغير في قلب المخافة، عاجزة عن حمايته، عاجزة عن إخفائه، عاجزة عن حجز صوته الفطري ان ينمّ عنه، عاجزة عن تلقينه حيلة او وسيلة. هاهي ذي وحدها عاجزة ضعيفة، وهنا تتدخل يد القدر فتتصل بالأم القلقة المذعورة، وتلقي في روعها كيف تعمل وتوحي إليها بالتصرف: (وأوحينا الى أمِّ موسى ان أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليمِّ ولا تخافي ولاتحزني) .

يالله !

ياللقدرة ! ياأمّ موسى أرضعيه،فإذا خفتِ عليه وهو في حضنك،وهو في رعايتك، إذا خفت عليه وفي فمه ثديك، وهو تحت عينيك، إذا خفتِ عليه (فألقيه في اليمِّ) !!

حركات كلها عنف وكلها خشونة، قذف بالطفل في التابوت، وقذف بالتابوت في اليمّ، وإلقاء للتابوت على الساحل، ثم ماذا ؟ أين يذهب التابوت؟ من يستلمه؟ (عدوّ لي وعدوّ له)[٣]! .

إنه هنا في اليمّ، في رعاية اليد التي لاأمن الاّ في جوارها، واليد التي لاخوف

(١) القصص ٧ .
(٢) ترجف: تخاف وتضطرب .
(٣) طه ٣٩ .

معها، اليد التي لاتقرب المخاوف من حماها، اليد التي تجعل النار برداً وسلاماً[٤]، وتجعل البحر ملجأً ومناماً، اليد التي لايجرؤ فرعون الطاغية الجبار ولاجبابرة الأرض جميعاً ان يدنو من حماها الآمن العزيز .

وفي زحمة هذه المخاوف كلها، ماذا؟ مالذي حدث للطفل الضعيف المجرد من كل قوة؟ مالذي جرى للتابوت الصغير المجرد من كل وقاية ؟

(وألقيت عليكَ محبَّةً مني وَلِتُصْنَعَ على عيني)[٥]!! ياللقدرة القادرة التي تجعل من المحبة الهينة اللينة درعاً تتكسر عليها الضربات وتتحطم عليه الأمواج، تعجز قوى الشرّ والطغيان كلها ان تمسّ حاملها بسوء، ولو كان طفلاً رضيعاً لايصول ولايجول، بل لايملك ان يقول! .

إنها مقابلة عجيبة في تصوير المشهد، مقابلة بين القوى الجبارة الطاغية التي تتربص بالطفل الصغير، والخشونة القاسية فيما يحيط به من ملابسات وظروف، والرحمة اللينة اللطيفة تحرسه من المخاوف، وتقيه من الشدائد وتلفه من الخشونة، ممثلة في المحبة لافي صيال[٦] او نزال، (ولتُصنَعَ على عيني)، ومامن شرح يمكن ان يضيف شيئاً الى ذلك الظل اللطيف العميق الذي يلقيه التعبير القرآني العجيب: (ولتصنعَ على عيني)، وكيف يصف لسان بشري خلقاً يُصنَعُ على عين الله؟ إنها منزلة وإنها كرامة أن ينال إنسان لحظة من عناية الله، فكيف بمن يُصنَعُ صنعاً على عين الله؟ إنه بسبب من هذا أطاق موسى ان يتلقى ذلك العنصر العلوي الذي تلقاه[٧].

---

(٤) إشارة الى نبي الله ابراهيم عليه السلام يوم ألقاه قومه في النار وأوحى الله سبحانه اليها: (قلنا يانارُ كوني برداً وسلاماً على إبراهيم) الانبياء ٦٩ .

(٥) طه ٣٩ .

(٦) صيال : قتال .

(٧) إشارة الى (يوم الطور) حين آنسَ موسى عليه السلام ناراً فجاءها يلتمس عندها خبراً، هنالك كلمه الله سبحانه وأوحى إليه وأمره بالدعوة والتبليغ، وفي العبارة المذكورة إشارة الى أن الله سبحانه قد صنع موسى على عينه ليكون مهيأ لسماع صوت الحق سبحانه في لحظة قلما تجد لها بين المشاهد

ولتصنع على عيني تحت عين فرعون -عدوك وعدوّي- وفي متناول يده بلا حارس ولامانع ولامدافع، ولكن عينه لاتمتد إليك بالشر لأني ألقيت عليك محبة مني، ويده لاتنالك بالضّر وأنت تصنع على عيني، ولم أحطك في قصر فرعون بالرعاية والحماية، وأدع أمك في بيتها للقلق والخوف بل جمعتك بها وجمعتها بك: (إنّا رادّوه إليكِ) فلاخوف على حياته ولاحزن على بعده، (وجاعلوه من المرسلين ●) وتلك بشارة الغد ووعد الله أصدق القائلين . ذلك هو مشهد الأم الحائرة الخائفة القلقة الملهوفة تتلقى الايحاء المطمئن المبشِّر المثبت المريح، وينزل هذا الإيحاء على القلب الواجف المحرور[٨] برداً وسلاماً، ولايذكر القرآن كيف تلقت أم موسى ذلك الايحاء، إنما يسدل الستار عليها، ليرفعه فاذا نحن أمام مشهد آخر : (فالتقطهُ آل فرعونَ) ..

أهذا هو الأمن؟ أهذا هو الوعد؟ أهذه هي البشارة ؟ وهل كانت أم موسى تخشى عليه إلاّ من آل فرعون؟ وهل كانت ترجف إلاّ أن ينكشف أمره لآلِ فرعون؟ وهل كانت تخاف إلاّ أن يقع في أيدي آلِ فرعون ؟

نعم !

ولكنها القدرة تتحدى، تتحدى بطريقة سافرة مكشوفة، تتحدي فرعون وهامان وجنودهما، إنهم ليتتبعون الذكور من مواليد قوم موسى خوفاً على ملكهم وعرشهم، ويبثون العيون والأرصاد على قوم موسى كي لايفلت منهم طفل ذكر، فها هي يد القدر تلقي في أيديهم بلا بحث ولاكدّ بطفل ذكر، وأي طفل ! إنه الطفل الذي سيكون على يديه هلاكهم أجمعين، هاهي ذي تلقيه في أيديهم مجرداً من كل قوة ومن كل حيلة، عاجزاً عن أن يدفع عن نفسه او حتى يستنجد[٩]! هاهي ذي تقتحم به على فرعون

(٨) الواجف : الخائف ، المحرور : المحترق شوقاً ولهفة .

(٩) ولعل القرآن الكريم لم يسجل مشهداً فيه من سخرية القدر كمشهد موسى -الطفل الرضيع- وهو يدخل قصر فرعون في الوقت الذي كانت فيه عيون فرعون مبثوثة في أحياء بني إسرائيل تبحث عن ذكرانهم ! ثم ينشأ هذا الطفل في قصر الطاغية وتحت حمايته ورعايته ليكون على يديه -بعد سنين- نهاية مملكته، فأية سخرية؟ وأيّ صَغار!؟ لقد تضاءل فرعون امام الله الى درجة ان يقذف إليه بالطفل الذي يبحث عنه، ثم لايكون بعد ذلك إلاّ ماأراد الله: نهاية فرعون والتمكين لبني اسرائيل في الأرض .

حصنه وهو الطاغية السفاح المتجبر، ولاتتعبه في البحث عنه في بيوت بني إسرائيل !.
ثم هاهي ذي تعلن عن مقصدها سافرة متحدية:

(ليكونَ لهم عَدواً وحَزَنا) .

ليكون لهم عدواً يتحداهم، وحزناً يدخل الهمّ على قلوبهم : (إنّ فرعونَ وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ●)[١٠]. ولكن كيف؟ كيف وهاهو ذا بين أيديهم مجرداً من كل قوة، مجرداً من كل حيلة، لندع القرآن يجيب: (وقالت امرأةُ فرعونَ قُرّةُ عينٍ لي ولك لاتقتلوه عسى ان ينفَعَنا او نتخذه ولداً وهم لايشعرون ●)[١١].

لقد اقتحمت به يد القدر على فرعون قلب امرأته، بعدما اقتحمت به عليه حصونه، لقد حمته بالمحبة ذلك الستار الرقيق الشفيف، لا بالسلاح ولا بالجاه ولابالمال، حمته بالحب الحاني في قلب امرأة، وتحدت به قسوة فرعون وغلظته وحرصه وحذره، وهانَ فرعون على الله أن يحمي منه الطفل الضعيف بغير هذا الستار الشفيف!

(قرةُ عَيْنٍ لي ولكَ) ...

وهو الذي تدفع به يد القدر ليكون لهم - فيما عدا امرأة فرعون - عدواً وحزناً.

(لاتقتلوه) !

وهو الذي على يديه مصرع فرعون وجنده !

(عَسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا)

وهو الذي تخبّئ لهم الأقدار من ورائه ماحَذَروا منه طويلاً !

(وهم لايشعرون)

---

(١٠) القصص ٨ .
(١١) القصص ٩ .

فيا للقدرة القادرة التي تتحداهم وتسخر منهم وهم لايشعرون !! ذلك شأن موسى، فما بال أمه الوالهة[١٢] وقلبها الملهوف؟

(وأصبح فؤادُ أمِّ موسى فارغاً إن كادت لَتُبدي بهِ لولا أن رَبطنا على قلبِها لتكون من المؤمنين ●)[١٣].

لقد سمعت الإيحاء، وألقت بطفلها إلى اليمِّ، ولكن أين هو؟ وماذا فعلت به الأمواج؟ ولعلها سألت نفسها: كيف؟ كيف أقذف بطفلي في الماء؟ كيف فعلت مالم تفعله أمّ من قبل ؟ .

والتعبير القرآني يصور لنا فؤاد أمّ موسى صوة حية: (فارغاً) ، لاعقل فيه ولا وعي ولاقدرة على نظر او تصريف ! (إن كادت لتبدي به) وتذيع أمرها في الناس وتهتف كالمجنونة: أنا أضعته، أنا أضعت طفلي، انا ألقيت به في اليمّ ! (لولا أن ربطنا على قلبها) وشددنا عليه وثبتناها وأمسكنا بها من الهيام والشرود .

(لتكون من المؤمنين ●) المؤمنين بوعد الله، الصابرين على ابتلائه، السائرين على هداه . ولم تسكت أمّ موسى عن البحث والمحاولة :

(وقالت لأخته قصّيه)! إتبعي اثره واعرفي خبره، إن كان حياً أو أكلته دواب البحر أو وحوش البر، أو أين مقرّه ومُرساه؟. وذهبت اخته تقصّ أثره في حذر وخفية، وتتلمس خبره في الطرق والأسواق، حتى عرفت أين ساقته القدرة التي ترعاه، وتبصر به عن بعد في أيدي خدم فرعون يبحثون له عن ثدي للرضاع: (فبَصُرَت به عن جُنُبٍ وهم لايشعرون ●)[١٤].

وكان ذلك من تدبير الله إذ جعل الطفل لايقبل ثديي المرضعات، وفرعون وزوجه وقد تبنّيا الطفل الذي ألقاه اليم بالساحل يبحثان له عن مرضع، فيتسامع الناس وتروح

(١٢) الوالهة: المتلهفة المشوقة لسماع خبر طفلها وماحلّ به .
(١٣) القصص ١٠ .
(١٤) القصص ١١ .

أخت موسى بايحاءٍ من أمها تقول لهم: (هل ادلكُم على من يكفلُه) ؟[١٥].

إن القدرة التي ترعاه تدبر أمره، وتكيد لفرعونَ وآلهِ فتجعلهم يلتقطونه، وتجعلهم يحبونه، وتجعلهم يبحثون له عن ظئر[١٦]، ترضعه، وتُحرّمُ عليه المراضع لتدعهم يحتارون به وهو يرفض الثدي كلما عرضت عليه، وهم يخشون عليه الموت او الذبول، حتى تبصر به اخته فتعرفه فتقول لهم: (هل ادلكم على أهلِ بيتٍ يكفلونه لكم وهم له ناصحون ●)[١٧] ؟ فيتلقفون كلماتها وهم يستبشرون ، يودون لو تصدق في كلامها فينجو الطفل العزيز المحبوب !

وعاد الطفل الغائب لأمه الملهوفة، معافى في بدنه، مرموقاً في مكانته، يحميه فرعون وترعاه امرأته، تضطرب المخاوف من حوله وهو آمن قرير : (فرددناه الى أمّه كي تَقَرَّ عينُها ولاتحزنَ ولتعلمَ أنّ وعدَ الله حَقٌ ولكنَّ اكثرهم لايعلمون ●)[١٨].

وهكذا تمّ تدبير الله للطفل وأمه التي سمعت الالهام فقذفت به في التابوت، وقذفت بالتابوت في اليمّ، فألقاه اليم بالساحل، ليأخذه عدوٌ لله وعدّو له، فيكون الأمن بالقائه بين هذه المخاوف وتكون النجاة من فرعون الذي كان يذبّح ابناء بني إسرائيل بإلقائه بين يدي فرعون بلا حارس ولامعين !

ان شاء الله تعالى ....

الرسالـــة القادمـــة ....

امـرأة ابراهيـم (عليهما السلام)

---

(١٥) طه ٤٠ .
(١٦) ظئر : المرضعة لولد غيرها .
(١٧) القصص ١٢ .
(١٨) القصص ١٣ .

نساء في القرآن



بسم الله الرحمن الرحيم

(ولقد جاءَت رسُلُنا إبراهيم بالبُشرى)

والرسل هم الملائكة ......(قالوا سَلاماً قالَ سَلام)

وكان إبراهيم قد هاجر من أرض الكلدانيين مسقط رأسه في العراق وعبر الأردن وسكن في أرض كنعان في البادية، واحضر إبراهيم لهم الطعام وقد ظنهم ضيوفاً: (فما لَبِثَ أن جاءَ بِعِجلٍ حَنيذ)[1]. أي عجل سمين مشوي على حجارة الرضف المحماة، ويبدو كرم إبراهيم وسخاؤه واضحاً، فما يكاد ضيفه يدخلون عليه ويقولون سلاماً، ويردّ عليهم السلام وهو ينكرهم ولايعرفهم، حتى يذهب الى أهله - اي زوجه سارة - مسارعاً ليهيئ لهم الطعام، ويجيء به طعاماً وفيراً يكفي عشرات: (فراغَ الى أهلِهِ فجاء بعجلٍ سَمينٍ ● فقرّبَهُ إليهم قال الاتأكلون ●)[2].

ولكن الملائكة لايأكلون طعام أهل الارض: (فلما رأى أيديَهم لاتَصِلُ إليه) .

أي لاتمتد إليه: (نَكِرَهم وأوجسَ منهم خيفةً)[3].

إمّا لأن الضيف الذي لايأكل طعام مضيِّفِهِ ينبئ عن نية شر وخيانة، وإمّا لأنه لمح أنّ فيهم شيئاً غريباً ! عندئذٍ كشفوا له عن حقيقتهم وطمأنوه وبشروه : (قالوا لاتَخَف وبشّروه بغلامٍ عليم ●)[4].وكانت امرأته عقيماً لم تلد، وقد أصبحت عجوزاً، ففاجأتها البشرى بإسحاق، وهي بشرى مضاعفة بأن سيكون لاسحاق عَقِب من بعده هو يعقوب:(وامرأتُهُ قائمة فضحكَت فبشّرناها باسحاق ومن وراءِ اسحاقَ يعقوب)[5].

---

(١) هود ٦٩ .
(٢) الذاريات ٢٦-٢٧ .
(٣) هود ٧٠ .
(٤) الذاريات ٢٨ .
(٥) هود ٧١ .

والمرأة -وخاصة العقيم- يهتز كيانها كله لمثل هذه البشرى، والمفاجأة بها تهزها وتربكها: ﴿قالت ياوَيلتا أألدُ وأنا عجوزٌ وهذا بعلي شيخاً إنَّ هذا لَشيء عجيب﴾[٦]. وهو عجيب حقاً، ولكنه لاشيء بالقياس الى قدرة الله تعالى، ولقد سمعت امرأة ابراهيم هذه البشرى فبُغتَت وفوجئت، فندّت منها صيحة الدهش، وعلى عادة النساء ضربت خديها بكفيها: ﴿فأقبلت امرأتُهُ في صَرّةٍ فصَكّت وجهها[٧] وقالت عجوزٌ عقيم﴾[٨].

وقالت: عجوز عقيم، تنبئ عن دهشتها لهذه البشرى، وقد أخذتها المفاجأة العنيفة التي لم تكن تتوقعها أبداً، ونسيت أنّ البشرى تحملها الملائكة ! عندئذٍ ردّها الملائكة المرسلون الى الحقيقة الأولى: حقيقة القدرة التي لايقيدها شيء ، والتي تدبر كل أمر بحكمة وعلم : ﴿قالوا أتعجبينَ من أمرِ اللهِ رَحمةُ اللهِ وبركاتُهُ عليكم أهل البيتِ إنَّهُ حميد مجيد﴾[٩].

ولاعجب من أمر الله، فالعادة حين تجري بأمر لايكون معنى هذا أنها سُنَّةٌ لاتتبدل، وعندما يشاء الله لحكمة يريدها -وهي هنا رحمته بأهل هذا البيت وبركاته الموعودة للمؤمنين فيه- يقع مايخالف العادة، مع وقوعه وفق السنة الالهية التي لانعلم حدودها، ولانحكم عليها بما تجري به العادة في أمَدٍ هو على كل حال محدود، ونحن لانستقرئ جميع الحوادث في الوجود .

والذين يقيّدون مشيئة الله بما يعرفونه هم من نواميسه لايعرفون حقيقة الألوهية كما يقررها الله سبحانه في كتبه - وقوله الفصل وليس للعقل البشري قول في ذلك القول - وحتى الذين يقيّدون مشيئة الله بما يقرر الله سبحانه أنه ناموسه لايدركون

---

(٦) هود ٧٢ .
(٧) صَرّة : صيحة . صكّت وجهها: ضربت وجهها بيديها .
(٨) الذاريات ٩ .
(٩) هود ٧٣ .

حقيقة الالوهية كذلك، فمشيئة الله سبحانه طليقة[١٠] وراء ماقرره الله سبحانه من نواميس، ولاتتقيد هذه المشيئة بالنواميس . نعم إنّ الله سبحانه يجري هذا الكون وفق النواميس التي قدرها له، ولكن هذا شيء والقول بتقييد إرادته بهذه النواميس بعد وجودها شيء آخر ! إنَّ الناموس يجري وينفذ بقدر من الله في كل مرة ينفذ فيها، فهو لايجري ولاينفذ آلياً، فإذا قدّر الله أن يجري الناموس بصورة اخرى غير التي جرى بها في مرات سابقة، كان ماقدّره الله، ولايقف الناموس في وجه هذا القدر الجديد، ذلك أنّ الناموس الذي تندرج تحته كل النواميس هو طلاقه المشيئة الالهية بلاقيد على الإطلاق ! .

(قالوا كذلك قالَ ربُّكِ إنَّهُ هو الحكيمُ العليم ●)[١١].

وكل شيء يكون إذا قال له: كن، وقد قال الله تعالى، فماذا بعد قوله؟ إن الألفة والعادة تقيدان الإدراك البشري وتحدان من تصوراته، فيدهش إذ يرى مايخالف المألوف! ويعجب كيف يكون، وقد يتبجح فينكر أن يكون، والمشيئة المطلقة ماضية في طريقها لاتتقيد بمألوف البشر الصغير المحدود ،تبدع ماتشاء بغير ماحدود أو قيود !! .

ان شاء الله تعالى ....

الرسالة القادمة ....

بلقيس ملكة سبأ (عليها السلام)

(١٠) وفي القرآن الكريم أمثلة كثيرة على طلاقة المشيئة الإلهية، فَسُنَنُ الله سبحانه وتعالى في الكون لاتقف في طريق إرادته ومشيئته ، والشيء الوحيد الثابت هو: قوله للشيء كن، فيكون! لقد ألقيَ ابراهيم عليه السلام في النار ثم خرج منها سليماً معافى، وضرب موسى البحر بعصاه فانفلق عن طريق يَبَس ! في تلك اللحظة أوقفت مشيئة الله تعالى كل قوانين الجاذبية وخواص السوائل فلم تؤثر في مياه البحر ! وحملت مريم عليها السلام بعيسى ولم يمسسها بشر ! هذه المشاهد تدلّ على أن مشيئة الله سبحانه وتعالى (مطلقة) لاتتقيد بثوابت البشر ومسلّماتهم .

(١١) الذاريات ٣٠ .

نساء في القرآن

هذه هي الحلقة الاولى من (المرأة في ظلال القرآن)،
استعرضنا فيها حياة النسوة اللاتي ورد ذكرهنّ في القرآن الكريم، وكما
جاء في التفسير القيّم (في ظلال القرآن)
وعسى الله ان يوفقنا لإعداد الحلقة الثانية من هذه السلسلة
والتى سنعرض فيها
كل ما جاء في شأن النسوة في القرآن الكريم من العبادات والمعاملات.

اقرأ في هذه الحلقة:-

(١) أم موسى عليهما السلام ... إمرأة ابراهيم عليهما السلام

(٢) بلقيس عليها السلام ... خويلة رضي الله عنها

(٣) زينب بنت جحش رضي الله عنها

(٤) مريـــم عليها السلام

(٥) عائشة رضي الله عنها

(٦) امرأة العزيز

بغداد - شارع المتنبي : ٤١٥٤١٥٠
ص - ب : ١٤٢٣٩ / الرمادي هـ : ٤٢١٤٨٢

موافقة وزارة الاعلام ٣٣ في ١٩٩٤/١/٢٦

مطبعة النواعير - رمادي